

العنوان:	كيف تسقط الأنظمة تحت ضربات الفساد والنفاق والغبن : اللطم السياسي
المصدر:	مجلة الدبلوماسية
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
مؤلف:	هيئة التحرير(عارض)
المجلد/العدد:	ع 62
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	أغسطس
الصفحات:	40 - 41
رقم MD:	390996
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الظلم ، الفساد السياسي ، النظم السياسية ، النفاق ، الرشوة ، المحسوبية ، نظم الحكم
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/390996">http://search.mandumah.com/Record/390996</a>

## الظلم السياسي

الدبلوماسية - خاص

الظلم صنوف وأنواع ودرجات، وسواء كان ظلماً اجتماعياً أم إنسانياً، فهو في كل الأحوال سلوك ممقوت في العلاقات بين الأفراد والأمم ولا يعجل بنهاية أي نظام حكم سوى الظلم السياسي، فمنه يؤخذ الدرس تحت عنوان: كيف ينهي النظام.



ككل شيء في الدنيا هناك البداية وهناك أيضاً النهاية ، وهما طرفا مشوار سياسي لنظام يمر بمحطات اختبار القوة أمام المقاومة ، قوة إحكام السيطرة أمام مقاومة رفض الهيمنة ، قوة تشد إلى حب البقاء التسلطي الديكتاتوري وقوة تجذب إلى التغيير الديمقراطي ، قوة تريد فئات الشعب لها تابعة وقوة تريد السلطة لشؤونها متابعة ، وتختلف المرئيات بتباين المنطلقات الأساسية ، ومنها تتضارب المصالح والأهداف ، وعليها تتناقض المواقف ثم يحدث الانسداد في قنوات الاتصال والتواصل فيغيب الحوار مع أجهزة الدولة وداخل دواليب الحكم .. إنه الانغلاق السياسي الذي يؤشر على حدوث أزمة. هذا التوالي للأحداث هو مسلسل متماسك الحلقات بكل موضوعية ومنطقية يصيب كل الأنظمة التي تريد أن تضع نفسها في اختبار القوة أمام مقاومة شعبها لها، والشواهد التاريخية قديمها وحديثها تؤكد ذلك وللأسف حملت هذه الشواهد من المآسي الشيء الكثير الذي ستحتفظ به الذاكرة الجماعية للشعوب سنين طوالاً، والحكم الرشيد وحده هو من لا يرغب في رؤية شعبها يعيشها مرة أخرى .

### وعدو على بدء.. كيف ينهي النظام ؟

منطق الأشياء أن الصراع على السلطة يقضي بإحكام القبضة بقوة على كل نشاط حيوي في البلاد، مما يعني التنافس المحموم نحو التحكم في معظم مدخلات الاقتصاد ومخارجه ، ثم الامتداد الأفقي والرأسي لتوسيع مجالات النفوذ، وهذا النفوذ ليس شيئاً هلامياً لا معالم له، بل هو محدد جداً، إنه نفوذ المال أولاً الذي يمهد لولوج دوائر الحكم ومراكز صنع القرار، ونفوذ المال لا تقاومه النفوس الخبيثة التي تحرص في كل وقت على إبداء ولائها المزيف لمن يدفع .. إن مثل هذه النفوس تسهل المهمة كثيراً على الطامعين في الحكم ، لأن الأمر لا يحتاج إلى إقناع ومفاوضات طويلة قد لمجح وقد تفشل .. المال سيف بتار لحسم ما استعصى من مسائل ومفتاح سحري لمغاليق الأمور، إنه وسيلة من يضيق من قيود القانون ومن يترفع عن الامتثال له ، أي أنه أداة لتجاوز النظام العام وخرق حالة السكينة والاطمئنان المستندة إلى الأمن والسلم الاجتماعيين ، وللاعتداء السافر على الحقوق الثابتة الفردية والجماعية ، إنه الظلم الذي حرّمته الشرائع السماوية وجرّمته القوانين الوضعية ، لأنه! الرشوة " المعبرة عن قمة الفساد الأخلاقي الذي يمثل بحق بداية السقوط.

إن الرشوة لا يتصور دفعها إلا للغرباء من أجل اكتساب أفضلية دون حق أو الحصول على مكاسب على حساب آخرين ، لكن في مقابلها تبرز وسيلة أخرى لا تقل سوءاً كونها لا تبالى بالكفاءة والعلم والمقدرة أمام أولوية ذوي القربى العائلية أو القبلية أو العشائرية أو للذين ينتمون إلى نفس المنطقة أو ينحدرون من نفس مسقط الرأس ، إنها "المحسوبية" المقيتة

التي لا سبيل لنكرانها أو نفي وقوعها . إنها في كل مفردات حياتنا بشكل أو بآخر، وليس المقصود هنا التعميم المطلق ، فكثير ما تتقاطع هذه الاعتبارات مع وجود كفاءات حقيقية لا مناص من عدم الاستعانة بخدماتها ولا غرو من اللجوء إلى خبراتها العملية وكفاءتها العلمية ، ولكن إذا انعدمت هذه القدرات الشخصية والإمكانات الذاتية ، وجرى التعيين في مناصب المسؤولية لغير المؤهلين لها، بل لمجرد درجة القرابة أو الانتماء، فإنه بحق النفاق السياسي الذي يعد في حقيقته سوسة النظام التي تنتشر في دواليبه وتنخر في كيانه وصولاً لتقويض أركانه لتحويله إلى كيان هش آيل للسقوط في كل وقت لسبب واحد وهو أن فئات الشعب قد أصبحت معزولة وجدانياً عن القيادة السياسية للبلاد بمعنى أننا لن نجد لها ثوباً للانتصار لقضايا السلطة كما لن نجد صدى مبادراتها بين الشعب من تعبئة لقوى المجتمع وتجنيد فئاته لمشاريع النظام حتى لو اجتهدت أبوابه الإعلامية في تصوير الوضع بخلاف ذلك فهذا لا يعني أبداً أن النتيجة الطبيعية لسوء الوضع قد تكونت بفقدان الثقة وانعدام المصداقية.

لن يكون انتشار المحسوبة محصوراً أثره في ذاته ، بل منطقياً ستمتد تداعياتها في صور قاسية تعبر عن الغبن الاجتماعي ومن مظاهرها "التهميش" والإقصاء، وليس من قبيل التهميش استبعاد ضعيفي المستوى والتأهيل العلمي والتكوين المهني اللائق من مناصب المسؤولية ، ففي هذا شفقة عليهم من عبء ثقيل يجهلون طرق التعامل معه، كما فيه رحمة للمجتمع من مساوئهم وأخطائهم التي طالما شاهدنا نتيجتها على حياة الشعوب وعلى مدار التاريخ السياسي منذ القدم ، ولكن التهميش أن يحرم أحدهم رغم تمتعه بمؤهلات معترف بها من التعيين أو الارتقاء في السلم الوظيفي لصالح آخر أجاد لعبة النفاق السياسي ، ففي هذا إهدار سافر للكفاءات وتمكين فاضح للرداءة التي لا يمكننا معها انتظار أي خير للبلاد والعباد، وهنا نكون قد وصلنا إلى آفة الزوال .

#### المحسوبة لا تبالي بالكفاءة والعلم والمقدرة أمام أولوية ذوي القربى العائلية أو القبيلية أو العشائرية.

لقد اكتمل ثالث الظلم السياسي من الفساد الأخلاقي إلى النفاق السياسي ، ثم الغبن الاجتماعي 0 وهو نفسه المودي إلى تفكك الوحدة الوطنية ، فكيف يمكننا تصور وجود تألف اجتماعي أو توافق سياسي أو حتى تضامن إنساني في مجتمع تمزقت أوصاله وتباعدت مصالح فئاته بعدما تضاربت الأهداف التي على كثرتها وتنوعها إلا أن القاسم المشترك بينها أنها لا تتعلق بالمصلحة الوطنية المحقة ، إن مثل هذا الثالث أعمق تأثيراً وأكثر وطأة على سيرورة الحياة العادية للمجتمع ، لأنها تفعل مفعولها بسرعة ربما تتجاوز في وتيرتها مسارات المعارضة الحزبية الراضية والقوى النقابية الغاضبة التي تكتفي بالوقوف عند عتبة المطالبة بالحقوق الدعوة إلى تحسين الوضع المعيشي .

إن النظام الحاكم قد خلق في ذاته عوامل فنائه ، لقد وضع نفسه أمام مخاطر تهدد استمراره فنهايته أصبحت رهن حدوث ثورة شعبية عارمة على شاكلة !الشعب يريد.. " أو انقلاب داخلي منظم له أساس وله رأس .. أو بتعرضه لهجمة عسكرية خارجية ضارية لن يكون من العسير تبريرها وضمان الحشد لها بأسرع مما يتصور أكثر المتفائلين . ومهما كان الحال فإن النظام الذي اعتمد على شخصيات اتسمت بمحورية الذات ، لإنجاز عمل يوهمون به الرأي العام أنه جماعي ، وأحاط نفسه بدوائر المنافقين ، نسي أن معارضة الشيء قد تكون في تأييده قبل أوأانه ، هو من قد رسم لنفسه آخر محطاته بعدما ضعفت لديه حدة البصر نحو الآفاق ، فعجز عن النظر للأمور نظرة شاملة غير مفككة ، وفقد مهارة التبصر والأخذ باعتبارات الحيطة والحذر، فلم يستغل التوهج الفكري لنخبته المثقفة ، ولم يحافظ على الطابع النفسي المطمئن كشرط أساسي للخيال المبدع ، الخيال الذي ينتج صوراً تدعم الفكر الذي ينتج المفاهيم ، فكانت الأزمة أكبر من خطط الحل التي عادة ما تجيء في الربع ساعة الأخيرة ، وهو ما يعني بطء الحركة ونقص آليات الحل وغياب سياسة إنقاذ ، أي أن النظام لم يدرس التاريخ جيداً، وبذلك حدد لنفسه نهاية مطافه بالسقوط الحزني الدرس المر.